27

وصية بالاستعاذة من عدة أمور

نص الوصية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اِسْتَعِيْذُوا بِاللهِ مِنْ جَهَنَّمَ، اِسْتَعِيْذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، اِسْتَعِيْذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ، اِسْتَعِيْذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ»**[1].

ما يُفْهَمُ من الوصية

أختي المسلمة، هذه الوصية جامعة لأمور عامة طلب منا النبي ﷺ الاستعاذة منها؛ وهذا باب من الدعاء مطلوب أن يكرره المرء دائماً في أيام حياته؛ سواء أكان ذلك في دعاء الصلاة أم في أدعية الخطباء في المساجد أم في الأدعية العامة والخاصة. وهذه الاستعاذة من عذاب جهنم ومن عذاب القبر وفتنة الدجال وفتن الحياة الدنيا والآخرة هي أمور غيبية تؤكد إيماننا بها حين نستعيذ بالله منها، كما أن النبي ﷺ حدثنا عن أهوالها وفصَّل لنا الكثير منها مما جاء في القرآن أصلاً لأكثرها. ولكي تدركي – أختي المسلمة – أهمية هذه الوصية لا بد أن نذكر لك معاني وصايا أخرى شارحة لها، ومبينة لتفاصيل ما فيها من المعاني.

1- الاستعاذة من عذاب جهنم

وجود عذاب النار يوم القيامة للكافرين والظالمين أمر قطعي دلَّ عليه كتاب الله في كثير من السور، وقلَّما تخلو سورة من ذكر النار وعذابها، وذكر

(1) رواه البخاري في "الأدب المفرد" برقم (648). وهو صحيح.

الجنة ونعيمها. وقد وصف الله في كتابه امتلاء جهنم بالناس، وهي تقول: هل من مزيد؟ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: 30]، فهي ستمتلئ بالناس الكافرين والعُصَاة الظالمين من المسلمين أيضاً.

وقد ذكر الله أن للنار أبواباً سبعة، فقال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 43-44]، وذكر أن طعام جهنم هو شجر زقوم فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: 51-52]، ووصف هذه الشجرة بأنها في أصل نار جهنم وأن ما يخرج من ثمرها كأنه رؤوس الشياطين، فقال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: 62-67]؛ أي أن هذه الشجرة تُشَابُ – أي تُخْلَطُ – بالحميم الذي هو الحار الذي يقترب من الإحراق، فيمزج ذلك للظالمين وتطعمهم إياه الملائكة الموكلون بالنار الذين هم تسعة عشر من الملائكة الغلاظ الشداد كما وصفهم الله، ومعهم سبعون ألفاً منفذون لأوامر الله إذا أراد الله، وهم أعوان وأتباع للملائكة التسعة عشر.

ووصف الله آثار هذا الطعام من ثمر شجرة الزقوم في البطون فقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: 43-46]؛ والمهل هو عَكَرُ الزيت، وقيل: هو الفضة الذائبة؛ فالثمر يكون في البطن كَعَكَرِ الزيت الأسود، والعياذ بالله. ومن طعامهم "الضريع" أيضاً وهو كالشوك مُرٌّ ونَتِنٌ وحار، وهو لا يُسمن ولا يغني من جوع كما قال الله.

وذكر من شراب جهنم أيضاً ماء صديداً أعدَّه للجبارين العنيدين فقال: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: 15-17]؛ والصديد وصفه النبي ﷺ بأنه من عين خَبَال، فسُئِلَ عنها فأجاب بأنها: "**صديد أهل النار**"، وفي رواية: "**عُصَارَةُ أهل النار**"، وجاء عنه أيضاً أنها "**رَدْغَةُ الخَبَال**" و"**طينة الخَبَال**" و"**نهر الخبال**"، وهي عقوبة لشارب الخمر الذي لا يتوب عن الشرب ويموت عاصياً لله، والعياذ بالله.

وذكر الله ثياب أهل النار أيضاً فقال: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ [الحج: 19-20]، فهي ثياب من نار، ويصب الحميم الذي هو الماء الحار فينفذ من رؤوسهم إلى جلودهم وأجوافهم لشدة غليه. ثم ذكر عذابهم بالمقامع التي هي أعمدة من حديد فقال: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج: 21].

ووصف الأغلال والسلاسل تكون في أعناق المكذبين بالله وكتابه، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: 70-72]، فهذا مع السحب على وجوههم.

وذكر الله بعض أصناف العذاب الأخرى مع كون المعذبين في النار قد أفقدهم الله أبصارهم وسمعهم، كما وصف النبي ﷺ تفاصيل تشيب لهولها الولدان؛ إذ إن أهل النار لا ينامون ولا يموتون، ويمشون في النار، ويجلسون على النار، ولُحُفُهم من نار، وفُرُشهم من نار، وقمصانهم من نار وقَطِران، وتغشى وجوههم النار، لهم سرادق من نار، وهو خيمة عظيمة لها أربعة

جدران تحيط بهم، وتُظَلِّلهم غَوَاشٍ أو ما يغشاهم كأنه غشاء من حر النار وسوادها ولهيبها، وذلك من فوقهم ومن تحتهم كالأسرَّة لهم، أعاذنا الله من النار.

ولهذا – أختي المسلمة – فإن الاستعاذة من نار جهنم وعذابها مطلوب دائماً، وهو دعاء لله سبحانه وتعالى وتضرع وتوسل إليه أن يكف عنا عذابها، وأن يوفقنا دائماً إلى عمل الخيرات والطاعات.

أختي المسلمة، لا بد من الإشارة إلى أن عذاب النار لا يزحزح عنه إلا الذين يقومون بالفروض والطاعات، فأما إذا قصَّر الإنسان في فرض من الفروض فالله سبحانه وتعالى سيحاسبه على تركه للفرض، وإذا مات ولم يقم بالفروض الأساسية، ولم يكن له عذر عند الله فإن الأمر لله يومئذٍ، والغالب أن يدخل النار في ترك الصلاة والزكاة المفروضة أساساً، والصوم كذلك، وأمور أخرى واجبة في الحياة اليومية، وأما بعض الفروض التي انتهى وقتها وليس فيها قضاء فيلزم التوبة، مثل عدم الالتزام باللباس الشرعي للمرأة، فعليها أن تتوب إلى الله وتلتزم بالحجاب وإلا فالعقاب محيط بها.

وأما النواهي فأمرها بسيط مع أداء الفروض إذا كانت من نوع الذنوب المتعلقة بالحقوق الفردية، وأما المعاملات مع الناس فأمرها شديد جداً، فشتم الناس وهتك أعراضهم باللسان، واللعن، وأكل الحق كالأموال ونحوها، فهذه أمور تُدخل النار، وسيقتص منا صاحبها إن لم نَتُبْ إلى الله ونرجع الحقوق أو نطلب السماح من أصحاب الحقوق الذين هاجمناهم وتطاولنا عليهم بألسنتنا، وهذا هو وضع المفلس الذي حدثنا عنه النبي ﷺ يوم القيامة، حيث يأتي بأعمال كبيرة ولكنه تعدى على حقوق الناس وظلمهم

بأكل أموالهم وشتمهم وسفك دمائهم والتعدي عليهم، وهكذا تؤخذ من حسنات المتعدي فتعطى للمتعدى عليه، حتى إذا لم يبق من الحسنات شيء، أُخِذ من سيئات المظلومين الذين ظلمهم ذلك المتعدي، ثم طرحت على سيئاته حتى ترجح كفة الميزان بالسيئات، ثم يلقيه الله في النار والعياذ بالله.

2- الاستعاذة من عذاب القبر

أختي المسلمة، إن القبر أول درجة من درجات الآخرة، وقد حدثنا النبي ﷺ أن من جاوزه ونجا منه فما بعده خير، وأما من لم يتجاوزه فما بعده شرٌّ من تلك الدرجة. وحدثنا النبي ﷺ أن عامَّةَ عذاب القبر من البول، كما أن النميمة من أسباب عذاب القبر، وكذلك هناك منكرات أخرى، نهى عنها الشرع هي أسباب لعذاب القبر.

وعذاب القبر على الكافرين هو حتى النفخة الأولى من نفخات يوم القيامة التي هي نفخة الصعق، وبين النفختين يتوقف العذاب عن الكافرين، وأما عصاة أمة محمد ﷺ فهم يعذبون فترة إلى ما شاء الله، ثم يتوقف عنهم العذاب. والعذاب روحي وجسدي، وإرجاع الروح في القبر للسؤال والعذاب، هو إرجاع خاص لا نعلم عنه شيئاً، وهو أمر غيبي، وليس عذاب القبر كتقلبات النائم وعذاباته النفسية عندما يرى الكوابيس، فمن قال هذا فقد تصور ما لا يُتَصور مثله ولا يقدر العقل أصلاً على تصوره، فهو عذاب كما أخبرنا الله سبحانه.

وفتنة القبر هي سؤال الملكين "أنكر" و"نكير" للميت أسئلةً ثلاثة: عن ربه، وعن دينه، وعن قوله في هذا الذي بعثه الله إلى قومه؛ يعني النبي الذي أرسله الله لكل قوم بما أرسله لاتِّباع أوامره والعمل بما جاء به ذلك النبي ولعلّ في هذا السؤال سؤالاً عن نبوة محمدﷺ الذي بشّر بقدومه كل رسول أمَّتَهُ.

والمؤمن يُسأل فيجيب، والكافر والمنافق لا يستطيع الإجابة، وعندها يكون العذاب بمقامع من حديد يُضْرَبُ بها هؤلاء المعذَّبون فيصيحون صيحةً يسمعها مَن في السماء والأرض ما عدا الإنس والجن، وسيعذب عصاة أمة محمد ﷺ بهذه المقامع أو المِرْزَبَّات الكبار أو أعمدة الحديد.

أختي المسلمة، إن الاستعاذة من عذاب القبر تقتضي الاستعاذة من فتنة القبر كما جاء في بعض الأدعية المروية عن النبي ﷺ، وهي فتنة عظيمة بسؤال الملكين، فهل يقدر الإنسان على الجواب بدون أن يرتبك ويتلعثم؟ إن الله هو الذي سيثبّت الذين آمنوا بالقول الثابت في أثناء إجابتهم عن تلك الأسئلة الثلاثة، وما لم يكن الإنسان على يقين من ربه ومن عبادة ربه والعلم بربه، وبدينه وبكل ما أمر به الله، وما لم يكن على دليل قطعي وبرهان يقيني على هذا كله فلن يفلح في الإجابة، وهنا الطامة الكبرى والبلية العظمى، فلهذا تستطيع كل فتاة مسلمة أن تضع نفسها في موضع الإجابة في الحياة عن الأسئلة لو أن فتيات أخريات سألاها عن دليل إيمانها بالله وبالدين وبالاعتقاد الإسلامي كله، فهل تقدر على البرهان على ذلك؟ إنها إن استطاعت فهي ذات عقيدة صلبة تنجو بها من السؤال ولا ترتبك إن شاء الله حيث يثبتها الله هناك كما هي ثابتة في الدنيا.

3- الاستعاذة من فتنة الدجال

أختي المسلمة، ما من نبي إلا وقد حدَّث قومه عن الدجال وعن كيفية صفته، وأنه أعور عينه اليمنى كأن عينه عِنَبَةٌ طافِئَةٌ أو طافيةٌ. وإن النبي محمداً ﷺ قد حدثنا عن الدجال حديثاً مفصلاً، فأوضح لنا أن هذا الرجل يظهر في الأرض من جهة شماليها، ثم يمر ببلاد العجم (أصفهان) وما حولها لِيَلْتَمَّ حوله يهود الأرض، وتكون الأمم قبل ذلك قد تكالبت على

المسلمين، وتشتد الضغوط على دولة المسلمين، ويختل توازن المسلمين مع غيرهم من أمم الترك[1] والروم، وفي ظل هذه الظروف يظهر الدجال بعد فتح القسطنطينية وظَفَر المسلمين بالمغانم الكثيرة، فينادي الشيطان قبل اقتسام الغنائم بأن الدجال ظهر، فيتركون كل شيء ويرجعون إلى أهليهم.

ويسير الدجال معه الشياطين، ويضل الناس بما معه يوهمهم أن معه جنةً وناراً، ويقتل من لا يقبل دعوته ويجابهه، كما أنه حين يمر بأرض تصبح يَبَاباً وناضبةَ الماء، ويقوم بأعمال السحر والضلال ليوهم الناس أنه ربهم حتى إن كنوز الأرض لتخرج من باطنها فتتبعه، ويقول للسماء: أَمْطِري، فتمطر، وهذا سحر عظيم، وفي يومنا هذا ترى النساء والفتيات أموراً أقل بكثير من الدجالين فيؤمِنَّ بهم والعياذ بالله ويُصَدِّقْنَهم تصديقاً كبيراً، فما بالنا بأيام الدجال؟ مع العلم بأن النبي ﷺ حدثنا أن قبل الدجال دجالين غيره آخرين سوف يُضلون الناس.

ويصل الدجال إلى أراضي بلادنا فيمر مرور الريح المرسلة، ويكون سريعاً، وليس معه شيء من الآلات التي نعرفها اليوم، وهذا من إضلاله للناس، ويكون ظهوره أربعين يوماً في الأرض، فيوم منها يكون كَسَنَةٍ، ويوم كشهرٍ، ويوم كأسبوعٍ، وهذه ثلاثة أيام طوال كما حدَّث النبي ﷺ؛ أي أن أيامه على الأرض هي (421) يوماً باعتبار أن الشهر الهجري (29) يوماً؛ وهو بالحساب بالميلادي سنة وشهرين تقريباً، وفي كل هذه الأيام يفسد في الأرض، وتعم مجاعة شديدة، وينحصر المسلمون في بلاد الشام عند بيت

---

(1) الترك: ليسوا هم الأتراك اليوم، بل بعض الأتراك منهم، ولكن الترك هم في غربي روسيا الحالية إلى أن نصل إلى جورجيا وما حولها وما حول "الدَّرَبند" أو باب الأبواب عند البحر ثم إلى آسيا الصغرى مروراً بالمجر (هنغاريا) ثم إلى منشوريا الصينية وبلاد تُبَّتَ (التيبت)، والأوغوز (الغُزّ) منهم، وقد قاتلهم المسلمون منذ أيام سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى القرن الثامن الهجري.

المقدس، وإمامهم رجل صالح، ويقاتل بعض المسلمين الدجال، وهم من الطائفة التي حدث النبي ﷺ عنها أنها في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس؛ أي في بلاد الشام، ولا يقدر هؤلاء على كسره وهزمه مع من معه فيذهبون شرقاً وغرباً عند مرور الدجال من مصر في سيناء حيث تجري ثمة تلك المعركة الخاسرة.

ثم يصل الدجال إلى قرب الأردن عند العقبة تقريباً، وعندها يظهر سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، وينزل منحدراً من قاسيون مستنداً إلى ملكين، ويكسر الصليب، وتنصاع له النصارى ليؤمنوا به، وكذلك يقتل الخنزير، ويؤمن به اليهود في بلاد الإسلام[1]. ولا بد أن نشير هنا إلى أن الزمان عند ظهور الدجال سوف يتباطأ والله أعلم وإلا ما كان اليوم يمتد هكذا ليصبح بمقدار سنة أو شهر أو أسبوع، ولعل حركة الكرة الأرضية هي التي سوف تتباطأ، وعندها سوف يحدث ما يحدث من امتداد الزمان.

وحين ينزل عيسى عليه السلام يتقدم إلى بيت المقدس أولاً ليقتل الدجال الذي يتقدم في سيره، وتقام الصلاة في بيت المقدس، فيحاول خليفة المسلمين وإمامهم أن يقدم عيسى للإمامة فيقول له: تَقَدَّمْ يا رُوْحَ الله، فيقول له عيسى: بل تقدم أنت فَصَلِّ، فَلَكَ أقيمتِ الصلاة، ويبيِّن الرسول ﷺ لنا سبب هذا بأنه تكرمة للأمة الإسلامية لئلا يؤمها إلا من هو منها إماماً لها.

وبعد الصلاة يصل الدجال إلى "باب لُدّ" في فلسطين، ويرى سيدنا عيسى عليه السلام، فينماث كما ينماث الملح في الماء كما قال النبي ﷺ؛ وهذا يعني أن قوى الدجال تبطل وتتلاشى، ويدركه عيسى بحربة فيطعنه

(1) وهذا في غير فلسطين، وفلسطين تكون قد أخرج المسلمون منها اليهود آنذاك قبل الدجال بفترة طويلة، وهو وعد الله في القرآن.

ويقتله، وترتاح الأرض منه. وإنها لفتنة عظيمة وابتلاء كبير للناس المسلمين، ولذلك طلب منا النبي ﷺ أن نستعيذ من هذه الفتنة العظيمة التي يدعي فيها الدجال ادعاء فرعون للألوهية، ولكن مع سحر عظيم، وتبعه – أي الدجال – أناس كثيرون ممّن اهتزت عقيدتهم واختلَّ إيمانهم، ويحاول إضلالهم بقتل رجل وإحيائه، ثم لا يقدر على ذلك مرة أخرى، وذلك الرجل الصالح يتصدى له تصدياً ويكشف شره للناس. وأمرنا النبي ﷺ أننا إذا أدركناه وطلب منا أن ندخل جنته فلندخُلْ ناره فهي جَنَّةٌ للمسلم.

أختي المسلمة، نحن لا نعلم كالصحابة رضي الله عنهم التوقيت الزمني لهذه الأحداث، ومع ذلك فنحن لا ندري هل تكون هذه الأحداث في عصرنا أو أنها يدركها أولادنا؟ فالأحداث تسير أحياناً بسرعة كبيرة، وقد يعيش الإنسان ليدركها، وما دامت من أمور الغيب، والنبي ﷺ حدثنا عنها فإننا نستعيذ منها عبادة ودعاء لله وإن استيقنا أنها لن تحصل في أيامنا، وأخبرنا النبي ﷺ أن العاصم من الفتنة هذه حفظ عشر آيات من سورة الكهف، وهذا يعني العلم بالدين، فإن الحفظ في المعنى المطلوب بالسنة ليس هو أداء فقط، بل قد يكون معه العلم، ولا شك أن العلم الشرعي بالعقيدة هو ما يحصّن الإنسان هنا. وما شرحناه مأخوذ من نصوص السنة الثابتة، وهو جانب من العلم بالدين، وما يحفظنا من الفتن.

4- الاستعاذة من الفتن الأخرى

أختي المسلمة، إن الاستعاذة من فتنة المحيا والممات، لهي تدل على أمور: فأولها أن المطلوب هو الاستعاذة من الفتن التي ندركها ونحن على قيد الحياة، والثاني الاستعاذة من فتن الموت وما بعد الموت. والوصايا النبوية والآيات القرآنية توضح لنا هذه الجوانب كلها.

والفتنة كلمة تدل في القرآن الكريم والسنة النبوية على معنى الابتلاء والاختبار والامتحان؛ وهذا هو المعنى اللغوي الأصلي للكلمة، غير أن النصوص النبوية بَيَّنت أن الفتنة لا تكون فتنة إلا إذا اختلط فيها الحق بالباطل، وهذا المعنى حين يكون قتل وقتال بين الناس، وهذا غير النوع الفردي الشخصي الذي يصيب الأفراد في حياتهم ولا يدرون كيف يسيرون؟ فالفتنة هنا لها معنى الامتحان والاختبار لا معنى الاقتتال؛ أي أن الفتن لها جانب متعلق بالقتل والقتال، وجانب آخر غير القتل والقتال.

ولا تكون الفتنة فتنة إلا إذا تضمنت معنى البلاء والاختبار ومعنى الغموض بحيث لا يتميز فيها الحق من الباطل، وقد حدثنا النبي ﷺ أن ثمة فتناً سوف تصيب هذه الأمة منها الاقتتال بحيث لا يدرى الحق من الباطل، فإذا كان الناس ضائعين عن معرفة الحق والباطل، أي لا يعرفون من هو البادئ بالظلم، فعلى الناس ألا يتدخلوا في شيء من قريب ولا بعيد، وأن يبتعدوا عن رفع السلاح ومساعدة أي طرف من الأطراف كما في فتنة مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، وأما إذا اتضح الحق من الباطل فلا يسمى الأمر فتنة، فالفتنة كلمة لها معنى واضح هنا في السنة النبوية.

وقد أخبرنا الله سبحانه أنه تصيبنا – نحن المسلمين – فتن كل عام، كما أنها فتن تعم الناس جميعاً، فقال سبحانه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[التوبة: 126]، فهذه الفتن التي تشير إليها الآية هي في حق الكافرين، ولكن لا يعني هذا أننا – نحن المسلمين – بعيدون منها، فقد قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 1-2]، وقال أيضاً: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]؛ فبيّن الله سبحانه أن الفتنة

تصيب الإنسان المسلم في دينه، وهي فتنة عظيمة، فالكفار سيترصدون للناس المسلمين دائماً، وسيقومون بمحاولة منعهم من إظهار دينهم.

والخير والشر هما فتنة بمعنى الابتلاء والامتحان للإنسان في هذه الدنيا؛ وعلى الإنسان أن يكون مستهدياً بالقرآن الكريم والسنة النبوية لكي يستطيع التفكير الصحيح والاختيار الصحيح، فقد يمتحن الإنسان بكثرة المال، وبكثرة العيال، وهنا بلاء كبير وفتنة عظيمة تحتاج إلى حسن تصرف في كل الأحوال بالمال، وحسن تعامل مع تربية الأولاد، ثم مع توجيههم التوجيه الصحيح، علماً بأن التربية ليست سبباً يقينياً أكيداً لصلاح الأولاد، فهي قد تصنع ولداً صالحاً، وربما يخرج الولد إلى الكفر والعياذ بالله، وهذا ما حصل مع نوح عليه السلام في شأن ابنه، والنبي قطعاً هو الذي يقدر على أحسن تربية، ولكن ابنه لم ينفع معه شيء وكان من المغرقين وعملاً غير صالح كما أخبر الله سبحانه.

وفتن المحيا كثيرة جداً لا تحصى، وقد حدثنا النبي ﷺ عن فتن عامة تصيب الناس جميعاً، ومنها الفتن التي تموج موجاً، وقد بدأت منذ أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا، وقد وُصِفَ بعضها بأنها تجعل الحليم حيران؛ وهي تعمّ الأهل والمال والدين، أعاذنا الله منها.

وأما فتن الممات فهي تشمل حالتين: إحداهما حالة الموت حين يفتن الشيطانُ الآدميَّ فيشككه في خالقه تارةً، وفي اليوم الآخر تارةً أخرى، ويجعله ساخطاً على ما قدَّر الله له في أحوال أخرى، ثم أيضاً يجعله منشغلاً عن التهيؤ للقدوم إلى ربه بتوبةٍ من زلَّة واستدراك لما فات من الهفوات وغير ذلك.

والأمر الثاني أو الحالة الثانية هي حالة ما بعد الموت، وهي تكون في القبر كما ذكرنا بسؤال الملكين للعبد عن ربه وعن دينه وعن قوله في النبيﷺ.

إن الأعراض أو الأحداث تحيط بالإنسان المسلم ليلاً نهاراً كما حدثنا النبي ﷺ، وهي تحاول دائماً أن تصيبه، فإن أخطأه شيء منها أصابه شيء آخر، وهكذا فالفتنة تكون محيطة بالإنسان المسلم دائماً، وبكل إنسان، وعليه أن يتحصن لمقاومتها بالعلم والدعاء؛ ومن الدعاء هذا الدعاء الذي أوصانا به النبي ﷺ.